شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

بيان المحجة في سير الدلجة

المؤلف

عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (ابن رجب)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في مكتبة آل عبدالقادر في الأحساء.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب بيان الحجة في سير المحجة

للشيخ ابن رجب رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

خرج البخاري رحمه الله من حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وخرجه ايضا في موضع آخر من كتابه ولفظه ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة وخرج ايضا من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سددوا وقاربوا وابشروا فانه لا يدخل الجنة احدا عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل رحمته ومغفرته وخرج ايضا من حديث ابن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا واعلموا لن يدخل احدكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها الى الله وان قل اشتملت هذه الاحاديث الشريفة على اصل عظيم وقاعدة مهمة ويتفرع عليها مسائل شتى من مسائل السير والسلوك الى الله في طريقه الموصل اليه اما الاصل فهو ان عمل الانسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة وان ذلك كله انما يحصل بمغفرة الله ورحمته وقد دل القرآن على هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى والذين اخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار فقرن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبين المغفرة والرحمة فدل على انه لا ينال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته قال بعض السلف الآخرة اما عفو الله واما النار والدنيا اما عصمة الله او الهلكة وكان محمد بن واسع يودع اصحابه عند موته ويقول عليكم السلام الى النار او عفو الله فاما قوله تعالى وتلك الجنة

وتركت في غبراء يكره وردها ... تسفي على البريح حين اودع
ان الحوادث يختزمن وانما ... عمر الفتى في اهله مستودع
يسعى ويجهد جاهدا مستهترا ... جدا وليس يأكل ما يجمع
حتى اذا اوفى الحمام لوقته ... ولكل جنب لا اباك مضجع

ولبعضهم

كم يبطن الارض ثاو ... من وزير وامير وصغير الشأن عبد خامل الذكر حقير
لو تأملت قبور ... القوم في يوم عسير لم تميز ولم تعرف غنيا من فقير

وروي عن ابراهيم بن ادهم انه قرأ على قبر

ما احد اكرم من مفرد ... في قبره اعماله تونسه
منعم الجسم وفي روضة ... زينها الله فهي مجلسه

ولبعض المتقدمين

وان كنت مشغولا بشيء فلا تكن ... بغير الذي يرضاه الله تشغل
فلم يصحب الانسان من بعد موته ... الى قبره الا الذي كان يعمل
الا انما الانسان ضيف لاهله ... مقيم قليلا عندهم ثم يرحل

تم الكتاب بعون الملك الوهاب بقلم افقر الورى الى الله تعالى
واحوجهم اليه الملتجي بمن لا له ثاني عبد الله بن درويش بن
ابن مبارك العدساني عفى عنهم وغفر لهم ولمن دعا لهم
بالعفو والمغفرة ولمن نظر الى هذا الكتاب ورأى
ما فيه من التحريف والغلط فاصلحه وذكر
بنهار الجمعة رابع ربيع الاول سنة ١٢١٨
من هجرته عليه افضل الصلاة
واتم التسليم
والحمد لله رب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية قد اختلف العلماء في معنى ذلك على قولين احدهما ان
دخول الجنة برحمة الله وكما انقسام المنازل بحسب الاعمال قال ابن عيينة
كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضله واقسام المنازل
بالاعمال والثاني ان الباء المثبتة في قوله بما كنتم تعملون وقوله بما اسلفتم
في الايام الخالية باء السببية وقد جعل الله العمل سببا لدخول الجنة والباء
المنفية في قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله بالمقابلة
والمعاوضة والتقدير لن يستحق احد دخول الجنة بعمل يعمله فانه ربما
توهم من يتوهم ان الجنة ثمن الاعمال وان صاحب العمل يستحق على الله دخول
الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة الى صاحبها بتسليم سلعته اليه فنفى بذلك
هذا التوهم وبين ان العمل وان كان سببا لدخول الجنة فانما هو من فضل الله
ورحمته فصار الدخول مضافا الى فضل الله ورحمته ومغفرته لانه هو المتفضل
بالسبب والمسبب المرتب عليه ولم يبق الدخول على العمل نفسه وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول للجنة انت
رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع يذكر
ان عذبوا فبعدله او انعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

فان قيل فقد روي حبيب بن الشهيد عن الحسن قال الحمد لله ثمن كل نعمة
ولا اله الا الله ثمن الجنة وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث انس
وابي ذر وغيرهما وان كان في اسانيدها ضعف ويشهد لذلك قول الله عز
وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية
فجعل الجنة ثمنا للنفوس والاموال فالجواب ان الله سبحانه
وتعالى بفضله ورحمته وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما مدبهم اليه
من طاعته على حسب ما يتعارفونه بينهم من تصرفاتهم المعهودة المألوفة
لهم وجعل نفسه مشتريا منهم ومستقرضا وجعلهم بايعين له ومقرضين

ليكون ذكرا دعى الى استجابتهم لدعوتهم ومبادرتهم الى طاعته والا ففي الحقيقة
الكل له وملكه ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملكه
له كما امرنا عند المصايب ان نقول انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا فقد مدح
من بذل له نفسه وماله وجعله تعالى ومقرضا كالذي له ملك يبيعه
ويقرضه لغيره ممن لا يملكه عليه كذلك الاعمال كلها من فضله ورحمته وقد
مدح عليها ونسبها اليها وجعلها شكرا لهم لنعمه ومكافاة لها وقد
روى ابن ماجة من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة
فقال الحمد لله الا كان ما اعطى افضل مما اخذ وكذا قال عمر بن عبد
العزيز والحسن وغيرهما من السلف واشكل ذلك على كثير من العلماء قديما وحديثا
وعلى ما قررناه معناه ظاهر فان المراد بالنعم النعم الدنيوية والحمد من
النعم الدينية والنعم الدينية افضل من النعم الدنيوية ولكن لما
قال الحمد منسوبا الى العبد لفعله له وقيامه به جعله الله معطيا لاعظم
النعمتين مكافيا للنعمة الاخرى ولهذا جاء في الاثر الحمد لله حمد يوافي نعمه
ويكافئ مزيده فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر
فالجنة والعمل كلاهما من فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ولهذا
يقول اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فلما اعترفوا لله بنعمته
عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمدوا الله على ذلك كله جوزوا بان
نودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا
عليه ونظير هذا ما قاله بعض السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يا
رب انت قضيت علي قال ربه انك اذنبت وانت عصيت قال العبد يا رب
انا اخطات وانا اسأت وانا اذنبت قال الله انا قضيت عليك وقدرت
وانا اغفر لك وقد تحقق معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا
الجنة بعمله اولن ينجي احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما هي من فضل الله
عز وجل واحسانه حيث جازى بالحسنة عشرا ثم ضاعفها الى سبع مائة

لعامليها صح

ظ كان

صنعو

ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه ولو جازى بالحسنة مثلها
كالسيئات لم يقل الحسنات على احباط السيئات فكان يهلك صاحب العمل
لا محالة كما قال ابن مسعود في صفة الحسنات ان كان وليا لله ففضل لله له
مثقال ذرة ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة وان كان شقيا قال الملك
يا رب فنيت حسناته وبقي له طالبون كثير قال خذوا من سيئاتهم لله
فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار فتبين بهذا ان من اراد
الله سعادته اضعف له حسناته حتى يستوفي فيها الغرماء ويبقى له منها
مثقال ذرة فتضاعف له ويدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته
ومن اراد الله شقاوته وله غرماء لم تضاعف حسناته كما تضاعف لمن اراد
سعادته بل تضاعف عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفونها كلها وتبقى
لهم مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم فيدخل بها النار فهذا عدله وذلك
فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق لاحد
سيئة واذا جاء عدله لم يبق لاحد حسنة وايضا فقد ثبت عن النبي
انه قال من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب وفي رواية خصم وخرج
ابو نعيم من حديث علي مرفوعا اوحى الله الى نبي من الانبياء بني اسرائيل
قل لاهل طاعتي من امتك لا يتكلوا على اعمالهم فاني لا انا صي عبدا الحساب
يوم القيمة اشاء اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتي من امتك لا يلقوا
بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي وقال عبد العزيز بن ابي
رواد اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين
اني لا اضع عدلي وحسابي على عبدي الا هلك قال ابن عيينة المناقشة
سوء الاستقصاء حتى لا يترك منه شيئا وقال ابن زيد الحساب الشديد
الذي ليس فيه شيء من العفو والحساب اليسير الذي تغفر ذنوبه وتقبل
حسناته فتبين بهذا ان النجاة للعبد بدون العفو والرحمة والتجاوز وانه
متى اقيم العدل على عبد هلك ومما يبين ذلك ايضا قوله تعالى ثم لتسالن
يومئذ عن النعيم فهذا يدل على ان الناس يسالون عن النعيم في الدنيا

كثيرون ع

فكانه عجب فقال يا رب ابشر المذنبين
وانذر الصديقين قال نعم بشر المذنبين
انه لا يتعاظمني ذنب اغفره وانذر الصديقين
ص

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهل قاموا بشكره اولا فمن طولب بالشكر على كل نعمة نعم من الله عافيه وصحة
جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصى ذلك عليه لم تف اعماله
كلها بشكر بعض هذه النعم وتبقى سائر النعم غير مقابلة بشكر
فيستحق فيستحقها صاحبها العذاب بذلك وخرج الخرائطي في كتاب الشكر من
حديث عبد الله بن عمر مرفوعا يؤتى بعبد يوم القيمة فيوقف بين يدي
الله عز وجل فيقول للملائكة انظروا في عمل عبدي ونعمتي عليه فينظرون
فيقولون لا بقدر نعمة واحدة من نعمك عليه فيقول انظروا في عمله
سيئه وصالحه فينظرون فيجدون كفافا فيقول عبدي قد قبلت حسناتك
وغفرت لك سيئاتك وقد وهبت لك نعمتي فيما بينك وخرج الطبراني
من حديث ابن عمر مرفوعا ان الرجل ياتي يوم القيمة بالعمل ولو وضع على
جبل لاثقله فتقوم النعمة من النعم فتكاد ان تستغرقه ذلك الا ان يتطاول
الله برحمته وخرج ابن ابي الدنيا من حديث انس مرفوعا يؤتى با
النعم يوم القيمة ويؤتى بالحسنات والسيئات فيقول الله لنعمة
من نعم خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنة الا ذهبت بها
وباسناده عن وهب بن منبه قال عبد عابد خمسين عاما فاوحى الله
اليه اني قد غفرت لك قال يا رب وما تغفر لي ولم اذنب فاذن الله
لعرق في عنقه فضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن فقام فاتاه
ملك فشكا اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك ان ربك عز وجل
يقول عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق وفي صحيح الحاكم
عن جابر مرفوعا عن جبريل عليه السلام ان عابدا عبد الله عز وجل
على راس جبل في البحر خمسمائة سنة ثم سال ربه ان يقبضه ساجدا قال
جبريل فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا ونجده في العلم انه يبعث
يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الرب عز وجل ادخلوا
عبدي الجنة برحمتي فيقول العبد يا رب بعملي فيعذ ذلك ثلاث مرات
ثم يقول الله للملائكة قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فيجدون نعمة

البصر قد احاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد له فيقول
ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار فينادي برحمتك ادخلني الجنة برحمتك
ادخلني الجنة فيدخله الجنة قال جبريل انما الاشياء برحمة الله
يا محمد قد حقق معرفة هذه الامور عرف ان العمل وان عظم فانه لا يستقل
بنجاة العبد ولا يستحق على الله دخول الجنة ولا النجاة من النار وحينئذ
فيفلس العبد من عمله يايس من الاتكال عليه ومن النظر اليه
وان كثر العمل وحسن فكيف بمن ليس له كثير عمل او ليس له عمل حسن
فان هذا ينبغي ان يشغله الفكر في التقصير من عمله ويشتغل بالتوبة من
تقصيره والاستغفار منه فاما من حسن عمله وكثر فانه ينبغي ان يشتغل
بالشكر عليه فان ذكر من اعظم نعم الله على عبده فيجب مقابلته
بالشكر عليه وبرؤية التقصير في القيام بشكره كما كان وهيب ابن الورد
اذا سئل عمل من الاعمال يقول لا تسالوا اجره ولكن سلوا عما يجب على من
هدي له من الشكر عليه وكان ابو سليمان يقول كيف يعجب عاقل
بعمله وانما يعد العمل نعمة من نعم الله عز وجل انما ينبغي له ان يشكر
ويتواضع وانما يعجب بعمله القدرية يعني الذين لا يرون ان اعمال العباد
مخلوقة لله عز وجل وما احسن ما قال ابو بكر النهشلي يوم مات
داود الطائي وقال ابن السماك يثني عليه بصالح عمله ويبكي الناس
يبكون ويصدقونه على ما قاله ويشهدون بما يثني به عليه فقام
ابو بكر النهشلي فقال اللهم اغفر له وارحمه ولا تكله الى عمله وفي سنن
ابي داود عن زيد بن ثابت مرفوعا لو عذب الله اهل سمواته واهل
ارضه ليعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم
من اعمالهم وفي صحيح الحاكم عن جابر ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال واذنوباه واذنوباه قالها مرتين او ثلاثا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك
ارجى عندي من عملي فقالها ثم قال عد فعاد ثم قال عد فعاد فقال

قم فقد غفر لك ذنوبي إن فكرت فيها كثيرة ورحمة ربي من ذنوبي أوسع
وما طمع في صالح قد عملته ولكنني في رحمة الله أطمع
فإذا تقرر هذا الأصل الشريف العظيم وعلم أن العمل بنفسه لا يوجب
النجاة من النار ولا دخول الجنة فضلا أن يوجب بنفسه الوصول إلى أعلا
ما في الجنة من منازل المقربين والنظر إلى وجه رب العالمين وإنما ذلك كله
برحمة الله وفضله ومغفرته فذلك يوجب على المؤمن أن يقطع نظره
عن عمله بالكلية وأن لا ينظر إلا إلى فضل الله ومنته عليه كما سئل
بعض العارفين أي الأعمال أفضل قال رؤية فضل الله عز وجل والله
أن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم بالقادر
فيتعين حينئذ على العبد المؤمن الطالب للنجاة من النار ولدخول
الجنة والقرب من مولاه وللنظر إليه في دار كرامته أن يطلب ذلك بالأسباب
الموصلة إلى ذلك أسباب الأعمال التي جعلها موصلة إليها وليس ذلك
موجبا إلى رحمة الله وعفوه ومغفرته ورضاه ومحبته فيها لينال
ما عند الله من الكرامة إذ الله سبحانه وتعالى قد جعل الوصول إلى ذلك
فيما شرعه الله لعباده على لسان رسوله وأخبر عنه رسوله أنه
يقرب إلى الله ويوجب رضوانه ومغفرته وأنه مما يحبه الله أو
أحب الأعمال إلى الله عز وجل فقد قال تعالى إن رحمة الله قريب
من المحسنين وقال ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون
قالوا فالواجب على العبد البحث عن خصال التقوى وخصال الإحسان
التي شرعها الله في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
والتقرب بذلك إلى الله عز وجل فإنه لا طريق للعبد يوصله إلى رضى
مولاه وقربه ورحمته وعفوه ومغفرته سوى ذلك وقد أشار النبي
صلى الله عليه وسلم في هذه الأحاديث المشار إليها في أول الجزء
من رواية عائشة وأبي هريرة رضي الله عنه إلى أن أحب الأعمال

فالواجب

إلى الله عز وجل

إلى الله عز وجل شيئان أحدهما ما داوم عليه صاحبه وإن كان قليلا
وهكذا كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وإنه واجه من بعده
وكان ينهى عن قطع العمل وقال لعبد الله بن عمرو بن العاص لا تكن مثل فلان
كان يقوم الليل فترك قيام الليل وقال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل
فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء قال
الحسن إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداوما على طاعة الله فيضاك
ويفاك فرآك مداوما مدبرا وربما فضك وإذا رآك مرة هكذا ومرة هكذا
طمع فيك والثاني أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد
والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير
كما قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول يسروا ولا تعسروا وقال إنما بعثتم
ميسرين ولم تبعثوا معسرين وفي المسند عن ابن عباس قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأديان إلى الله أحب قال
قال الحنيفية السمحة وفيه أيضا عن محجن بن الأدرع أن النبي صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد فرأى رجلا يصلي فقال أقوله صاد فقيل
له يا نبي الله هذا فلان وهذا من أحسن أهل المدينة أو من أكثر أهل
المدينة صلاة فقال لا تسمعوه فتهلكوه مرتين أو ثلاثا إنكم أمة
أريد بكم اليسر وفي رواية أخرى له قال إن خير دينكم أيسره
إن خير دينكم أيسره وفي رواية أخرى له قال إنكم لن تبلغوا هذا
الأمر بالغلبة وخرجه حميد بن زنجويه وزاد فيه قال اكلفوا من
العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا الغدوة والروحة وشيء من
الدلجة وفي المسند عن بريدة قال خرجت فإذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يمشي فلحقته فإذا نحن بنبي ابن بجل يصلي يكثر الركوع
والسجود قال أتراه يرائي قلت الله ورسوله أعلم قال قال

لعله عمل صحابه

لعله أترونه

فنزل يده من يدي ثم جمع بين يديه فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول عليكم
هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه وقد روي من وجه
آخر مرسل وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذا اخذ بالعسر
ولن ياخذ باليسر ثم وقع في صدره كلمة فخرج من المسجد فلم ير فيه
بعد ذلك وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم على من عزم على التبتل والاختصا
وقيام الليل وصيام النهار وقراءة القرآن كل ليلة كعبد الله بن عمرو بن
العاص وعثمان بن مظعون والمقداد وغيرهم وقال لكني اصوم وافطر
واقوم وانام واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وانتهى
بعبد الله بعمرو ان يقرا القرآن في كل سبع وفي رواية انتهى به الى قراءته
في كل ثلاث وقال لا يفقه من قرأه في اقل من ثلاث وانتهى به في الصيام
الى صيام داود عليه السلام فقوله في حديث ابي هريرة وعائشة
سددوا وقاربوا المراد بالتشديد العمل بالسداد وهو القصد والتوسط
في العبادة فلا يقصر فيما امر به ولا يحمل منها ما لا يطيقه قال
النظر بن شميل السداد القصد في الدين والسبل وكذا المقاربة المراد
بها التوسط بين التفريط والافراط فهما كلمتان بمعنى واحد ومتقاربات
وهو المراد بقوله في الرواية الاخرى عليكم هديا قاصدا وقوله وابشروا
يعني ان مشى في كفاءة الله على التسديد والمقاربة فليبشر فانه يصل
ويسبق الدايب المجتهد في الاعمال فان طريقة الاقتصاد والمقاربة
افضل من غيرهما فمن سلكهما فليبشر بالوصول فان الاقتصاد في سنة
خير من الاجتهاد في غيرها وخير الهدي هدي محمد صلى الله
عليه وسلم فمن سلك طريقه كان اقرب الى الله من غيره وليست الفضائل
بكثرة الاعمال البدنية لكن يكونها خالصة لله صوابا على متابعة
السنة وبكثرة معارف القلوب واعمالها فمن كان بالله اعلم وبدينه
واحكامه وشرائعه وله اخوف واحب وارجى فهو افضل ممن ليس
كذلك وان كان اكثر منه عملا بالجوارح وان هذا المعنى الاشارة في حديث

عائشة بقوله النبي صلى الله عليه وسلم سددوا وقاربوا واعلموا
ان لن يدخل احدا منكم عمله الجنة وان احب الاعمال الى الله ادومها وان
قل فامر بالاقتصاد في العمل وان يضم الى ذلك العلم باحب الاعمال الى الله
وبان العمل وحده لا يدخل الجنة ولهذا قال بعض السلف ما سبقهم
ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره وقال بعضهم
الذي كان في صدر ابي بكر المحبة والنصيحة لعباده وقال طائفة
من العارفين ما بلغ من بلغ بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخاوة
الانفس وسلامة الصدر والنصيحة للامة نزاد بعضهم وبذم
نفوسهم وقال آخرون انما تفاوتوا بالارادات لم يتفاوتوا بكثرة
الصيام ولا الصلاة وذكر لابي سليمان طول اعمار بني اسرائيل
وشدة اجتهادهم في الاعمال وان من الناس من غبطهم بذلك فقال
انما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده او كما قال وقال
ابن مسعود لاصحابه انتم اكثر صوما وصلاة من اصحاب محمد وهم
كانوا خيرا منكم قالوا ولم ذاك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا
وارغب في الاخرة يشير الى ان الصحابة فاقوا من بعدهم بشدة
تعلق قلوبهم بالاخرة ورغبتهم فيها واعراضهم عن الدنيا بتحقيرها
وتصغيرها وان كانت في ايديهم فكانت قلوبهم منها فارغة
وبالاخرة ممتلئة وهذه الحال ورثوها من نبيهم صلى الله عليه
وسلم فانه كان اشد الخلق فراغا بقلبه من الدنيا وتعلقا بالله
وبالدار الاخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه باعباء النبوة
وسياسة الدين والدنيا وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك
اعيان التابعين لهم باحسان كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان
في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل قلبه الى
ما وصلت اليه قلوب هؤلاء من ازعاجها عن الدنيا وتوطنها للاخرة
فافضل الناس من سلك طريق النبي صلى الله عليه وسلم وخواص

اصحابه في الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الاحوال العلية فان
سفر الاخرة يقطع بسير القلوب لا بسير الابدان جاء رجل الى بعض العارفين
قال له قطعت اليك مسافة فقال له ليس هذا الامر بقطع المسافات
فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك مقصودك قال ابو يزيد رايت
رب العزة في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك قال اترك نفسك
وتعال ما اعطيت امة ما اعطيت هذه الامة ببركة متابعة نبيها
صلى الله عليه وسلم حيث كان افضل الخلق وهديه اكمل الهدي
مع ما يسر الله على يديه من دينه ووضع به من الاصار والاغلال
عن امته فمن اطاعه فقد اطاع الله واحب الله واهتدى بهدى الله فمن
جملة ما حصل لامته ببركته وتيسر شريعته انه من صلى العشا
في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام
الليل كله فكتب له قيام ليلة وهو نائم على فراشه لا سيما ان نام على
طهر وذكر حتى تغلبه عيناه ومن صام منهم ثلاثة ايام من كل شهر
فكانما صام الشهر كله فهو صائم لنفسه الشهر في مضاعفة الله ومفطر
له في رخصة الله والطاعم الشاكر له اجر الصائم الصابر ومن قوي
ان يقوم من الليل ثم غلبته عيناه فنام كتب له ما نوى ونومه عليه
صدقة قال ابو الدرداء يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف
يسبق بها الجاهلين وصيامهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح
رب قائم حضه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش
كم من مستغفر مسقوت وساكت مرحوم هذا استغفر وقلبه فاجر
وهذا سكت وقلبه ذاكر وقال ليس الشان فيمن يقوم الليل
انما الشان فيمن ينام الليل وهو على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب
ومن لي بمثل سير المدلج تمشي رويدا وتجي في الاول
وقوله صلى الله عليه وسلم اغدوا وروحوا وشيء من الدلجة كقوله
في الرواية الاخرى استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة يعني

ان هذه

ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعات وهي
آخر الليل واول النهار وآخره وقد ذكر الله هذه الاوقات في قوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وسبح
بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبح واطراف النهار
لعلك ترضى وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن
الليل فسبحه وادبار السجود وذكر الله تعالى طرفي النهار في مواضع كثيرة
من كتابه كقوله يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا
وقوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار في ذكر زكريا عليه
السلام وقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه وقال فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا وقال
وسبح بالعشي والابكار فهذه الاوقات الثلاثة منها وقتان وهما اول
النهار وآخره يجمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع فاما
الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس
وهما البردان الذين من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما انها
الصلاة الوسطى واما عمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى
تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب وقد ورد في فضله نصوص
كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في اذكار الصباح والمسي وفي فضل
من ذكر الله حين يصبح وحين يمسي وقد روي من حديث ابن عمر مرفوعا
ابن آدم اذكرني ساعة اول النهار وساعة من آخره اغفر لك ما بين ذلك الا
الكبائر او تتوب منها وكان السلف لآخر النهار اشد تعظيما من اوله قال
ابن المبارك بلغنا ان من ختم نهاره بذكر كتب نهاره كله ذكرا قال
ابو الجلد بلغنا ان الله تعالى كل يوم الى الدنيا ينظر الى اعمال بني آدم
ورأى بعض السلف ابا جعفر القاري في المنام فقال له قل لابي حازم
يعني الاعرج الزاهد اكيس الكيس فان الله وملائكته يتراون مجلسك

بالعشيات والظاهرات لان اباحازم كان يقص على الناس آخر النهار وقد جاء
في حديث ان الذكر بعد الصبح احب له من اربع رقاب وبعد العصر احب
من ثمان رقاب وايضا فيوم الجمعة آخره افضل من اوله لما يرجى في اخره من
ساعة الاجابة ويوم عرفه آخره افضل من اوله لانه وقت الوقوف وكذلك
آخر الليل افضل من اوله كذلك قاله السلف واستدلوا بحديث النزول
الالهي وهذا كله يرجح قول من قال ان صلاة العصر هي الوسطى
واما الوقت الثالث فهو الدلجة والادلاج سير آخر الليل والمراد
به ههنا العمل في آخر الليل وهو وقت الاستغفار كما تقدم والمستغفرين
بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو آخر وقت النزول
المتضمن لاستعراض حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة
التائبين وسط الليل للمخفين المخلوة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين ب
يستغفرون من ذنوبهم من عجزهم مشاركة المحبين في الجري معهم في
ذلك الضمار فلا اقل من مشاركة المذنبين في الاعتذار وورد في بعض
الآثار ان العرش يهتز من السحر قال طاوس ما كنت اظن ان احدا
ينام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل سير الدلجة آخر الليل يقطع به سفر الدنيا والآخرة ولهذا
في الحديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض
تطوى بالليل
اصبر على مضض الادلاج في السحر ... وفي الرواح على الطاعات والبكر
لا تضجرن ولا يعجزك مطلبها ... فالهم يتلف بين الناس والضجر
اني رأيت وفي الايام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الاثر
وكم من جد في امر تطلبه ... واستصحب الصبر الا فاز بالظفر
وقد روي ان الاشتر دخل على علي رضي الله عنه بعد هدأة من الليل
وهو قائم يصلي فقال يا امير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل
وتعب فيما بين ذلك فلما فرغ من صلاته انشد هذه الابيات

قال ص

لعله للمحبين